جهود الإمام السموأل بن يحيى(٠٠٠– ٥٧٠هـ) في الرد على شبهات غير المسلمين الخاصة بالإلهيات

لبنى أحمد كمال الشعراوي (*)

ظهر خلال القرن السادس مجموعة من العلماء البارعين في قراءة التوراة والتعرف على مواضع الشبهات فيها وبذلوا في ذلك الجهد العظيم ، وظهر أحبار من اليهود اهتدوا إلى الإسلام مع تمكنهم من العلم في التوراة ، فبذلوا جهداً رائعاً في الدفاع عن الإسلام ، وإبراز شبهات اليهود الباطلة في التوراة ، وخاصة أن هؤلاء المهتدين قد قرءوا نسخ العهد القديم والجديد بلغات غير العربية واليونانية واللاتينية ، وقرءوا نسخ التوراة والإنجيل باللغتين العبرانية والسريانية ، ولهم جهود كبيرة في ترجمة هذه اللغات ، ونتج عن ذلك تأثير كبير في إقناعهم بالإسلام ودخول الكثير فيه بعد إسلامهم .

وكان من الشخصيات البارزة التي اعتنقت الإسلام بعد اليهودية الحبر اليهودي (شموائيل بن يهوذا بن آبون) المعروف بالعربية (السموأل بن يحيى المغربي رحمه الله)، دخل الإسلام بعد بحث عقلي طويل وفكر وتدبر ثم أيقن بالبرهان القاطع بطلان ما عليه اليهود، وصنف عند إسلامه كتاب (إفحام اليهود) الذي نحن بصدد البحث فيه ، كان فيه مدافعاً عن الإسلام وكاشفاً عن الشبهات اليهودية في التوراة ،وذلك بأسلوب رائع وقوى في الإقناع وحنكة في عرض الأدلة والبراهين .

تناول الإمام السموأل المغربي في كتابه إفحام اليهود العديد من المسائل التي رد فيها على اليهود في مختلف جوانب عقيدتهم ، ومن أهم وأقوى الشبهات في جانب الإلهيات شبهة النسخ التي أفحم فيها الإمام السموأل

(*) هذا البحث مستل من من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [جهود علماء العقيدة في رد شبهات غير المسلمين خلال القرنين السادس والسابع الهجريين (الإلهيات أنموذجاً)]، تحت إشراف: أ.د. خالد عبد الحليم السيوطي – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. أحمد شوره ضاوى - كلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا جامعة الأزهر.

اليهود، واظهر فيها ضلالهم ، وكذلك شبهة التجسيم و ضلالهم في وصف الله عزوجل بطريقة لا تليق بذاته العليا ، وهذا من افتراءات اليهود على الله عزَّ وجلَّ ووقاحتهم في كلامهم عن الله سبحانه،ويظهر بذلك مدى جرأة هؤلاء وكفرهم وتناقضهم ،وسنرى رد الإمام المهتدى السموأل عليهم الذي انبرى منهم وهو الملم بعقيدتهم وطقوس ملتهم التي كان عليها قبل اهتدائه مستخدماً في رده أدلة عقلية ونقلية ومنطقية .

الشبهات الخاصة بمسائل الإلهيات عند الإمام السموأل من خلال كتابه إفحام اليهود

الشبهة الأولى :النسخ عند اليهود.

الشبهة الثانية : كفريات الوصف والتجسيم عند اليهود .

الشبهة الأولى :النسخ عند اليهود.

وتنقسم هذه الشبهة إلى عدة ادعاءات :

الادعاء الأول : ادعاء اليهود بعدم جواز نسخ التوراة ووقوعه

الادعاء الثاني : إنكار اليهود للنسخ بحجة أنه كمن أمر بشيء وضده وهذا محال على الله .

الادعاء الثالث : ادعاء اليهود كراهية النسخ باعتباره إباحة للمحظور.

الادعاء الأول : ادعاء اليهود بعدم جواز نسخ[1] التوراة ووقوعه.

---

(١)النسخ في اللغة :" يطلق على معان تدور بين النقل والإبطال والإزالة ، فالنون والسين والخاء أصل واحد، إلا أنه مختلف في قياسه ، قيل : قياسه رفع شيء وإثبات غيره مكانه. وقال آخرون: قياسه تحويل شيء إلى شيء ، والنسخ: أمر كان يعمل به من قبل ثم ينسخ بحادث غيره، كالآية ينزل فيها أمر ثم تنسخ بآية أخرى، وكل شيء خلف شيئا فقد انتسخه ، وانتسخت الشمس الظل، والشيب الشباب، وتناسخ الورثة: أن يموت ورثة بعد ورثة وأصل الإرث قائم لم يقسم. ومنه تناسخ الأزمنة والقرون. وقيل : أن تحول ما في الخلية من العسل والنحل في أخرى ، انظر معجم مقاييس اللغة للإمام القزويني ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٤٢٥/٥) ، أما في الاصطلاح :كما اختلف أهل اللغة في تعريف النسخ فقد اختلف الأصوليون في تعريفه اختلافاً

استهل الإمام السموأل في عرضه لهذه الشبهة بسؤال اليهود بهل كان قبل نزول التوراة شرع أم لا ؟ ."[١]

الرد على هذه الشبهة :

وضح الإمام السموأل الرد على جواز نسخ التوراة من جانبين :

الجانب الأول : إن كان رد اليهود على ذلك بالرفض فقد كذبوا بما نطقت به التوراة ، والدليل على ذلك ما يلى :

- ما شرعه الله تعالى على نوح عليه السلام بالقصاص في القتل ، وهذا ما ورد في التوراة :" سافك دم الإنسان ، فليحكم بسفك دمه ، لأن الله خلق آدم بصورة شريفة "[٢].

- ما شرعه الله تعالى على إبراهيم عليه السلام ختانه للمولود في اليوم الثامن من ميلاده ، وهذا يشهد به ما جاء في التوراة :" هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ "[٣] ، **ثم علق الإمام السموأل** وقال :" وهذه وأمثالها شرائع ، لأن التشريع لا يخرج

كثيراً عرضه الإمام الآمدي وقال فى النهاية :" ومع ذلك فالمختار في تحديده أن يقال: النسخ عبارة عن خطاب الشارع المانع من استمرار ما ثبت من حكم خطاب شرعي سابق ، ولا يخفى ما فيه من الاحتراز من غير حاجة إلى التقييد بالتراخي، ولا بقولنا (لولاه لكان مستمرا ثابتا) لما سبق تقريره ،أما البداء فقال الإمام الآمدى :" واعلم أن البداء عبارة عن الظهور بعد الخفاء ، ومنه يقال :وبدا لنا الأمر الفلاني، أي ظهر بعد خفائه ، وحيث كان فإن النسخ يتضمن الأمر بما نهي عنه والنهي عما أمر به على حده وظن أن الفعل لا يخرج عن كونه مستلزما لمصلحة أو مفسدة. فإن كان مستلزما لمصلحة فالأمر به بعد النهي عنه على الحد الذي نهى عنه إنما يكون لظهور ما كان قد خفي من المصلحة ، وإن كان مستلزما لمفسدة فالنهي عنه بعد الأمر به على الحد الذي أمر به إنما يكون لظهور ما كان قد خفي من المفسدة، وذلك عين البداء، انظر الإحكام في أصول الأحكام ، للإمام الآمدي ، المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت)، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ، (٣/ ١٠٧-١٠٩)

(١) بذل المجهود في إفحام اليهود ، للسموأل بن يحيى المغربي ، قدمه وخرجه د عبد الوهاب طويلة ، دار القلم ، دمشق بيروت،الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ،صـ٢٢.

(٢) جاء في سفر التكوين (٦/٩)

(٣) جاء في سفر التكوين (١٠/١٧)

عن كونه أمراً أو نهياً من الله لعباده ، سواء نزل على لسان رسول أو كتب في أسفار وألواح أو غير ذلك "[١] ، فهذه أوامر إلهية للأنبياء قبل موسى عليه السلام ومذكورة في التوراة فإن أنكر اليهود ذلك فهذا قدح في دينهم .

الجانب الثاني :إن كان رد اليهود على نسخ التوراة بالموافقة وأنه كان شرعاً لهم ، هنا سألهم السموأل هل أتت بزيادة على تلك الشرائع أم لا ؟ ، فإن قالوا : لا ، فقد صارت عبثاً، إذ لا زيادة فيها على ما تقدم ، ولم تغن شيئاً ، فلا يجوز أن تكون صادرة عن الله ، فيلزمكم أن التوراة ليست من عند الله تعالى ، وذلك كفر على مذهبكم ، وإن كانت التوراة أتت بزيادة ، فهل في تلك الزيادة تحريم ما كان مباحاً أو لا ؟ فإن أنكروا ذلك بطل قولهم من وجهين :

- أن التوراة حرمت الأعمال الصناعية في يوم السبت بعد أن كان مباحاً وهذا بعينه هو النسخ

- أنه لا معنى لزيادة في الشرع إلا تحريم ما تقدمت إباحته ، أو إباحة ما تقدم تحريمه . "[٢] ،فهذا دليل من التوراة على أنها نسخت حكماً كان مباحاً عند الأمم قبل اليهود ، وهو العمل يوم السبت ، وجاءت التوراة بنسخه فحرمت العمل فيه .

الادعاء الثاني : إنكار اليهود للنسخ بحجة أنه كمن أمر بشيء وضده وهذا محال على الله :

يعرض الإمام السموأل ادعاء اليهود أن الله عزوجل لا يحظر شيئا ثم يبيحه ، لأن ذلك إن جاز مثله كان كمن أمر بشيء وضده "[٣].

الرد على هذه الشبهة :

لا يلبث الإمام السموأل في عرض وجهة نظر اليهود من خلال التوراة حتى يعرض وجهة نظره محاولاً إثباتها فرد عليهم الإمام السموأل وقال :"

(١)بذل المجهود في إفحام اليهود، صـــــــ٢٦.
(٢)بذل المجهود في إفحام اليهود صـــــ٢٧
(٣) بذل المجهود في إفحام اليهود صـــــــ٢٧

إن من أمر بشيء وضده في زمنين مختلفين غير متناقض في أوامره ، إنما يكون كذلك لو كان الأمران في وقت واحد"(١) .

وضح الإمام الجوينى مذهب اليهود فى النسخ وقال : "قالوا: فلو خرج المأمور به عن كونه مأمورا به وصار منهيا عنه أدى ذلك إلى أن يصير الحسن قبيحا ولو قدر الأمر على الضد من ذلك أدى ذلك إلى أن يصير القبيح حسنا إذا انقلب المنهي عنه مأمورا به، وهذا يقتضي أن يصير المراد مكروها والمكروه مرادا والطاعة عصيانا والعصيان طاعة، وهذا محال مفضي إلى قلب الأجناس، فإن القبح والحسن من صفات الأجناس عندهم، وتقدير ما يقلب الأجناس محال، فالنسخ على تقدير رفع الأمر إثبات في معلوم الله تعالى يؤذن بقلب الأجناس أو البداء على الله سبحانه وتعالى عما يقولون، وهذا بعينه مذهب اليهود الذين ينكرون النسخ عقلا"(٢)

الادعاء الثالث : ادعاء اليهود كراهية النسخ باعتباره إباحة للمحظور

انتقل الإمام السموأل إلى عرض ادعاء آخر حين وضح اليهود أن التوراة حظرت أموراً كانت مباحة من قبل ، ولم تأت بإباحة محظور ، والنسخ المكروه هو إباحة المحظور، لأن من أبيح له شيء فامتنع عنه وحظره على نفسه فليس بمخالف ، وإنما المخالف من منع من شيء فأتاه لاستباحته المحظور"(٣)

الرد على هذه الشبهة : رد الإمام السموأل وقال :"إن من أحل ما حظره الشرع في طبقة المحرم لما أحله الشرع ، لأن كل منهما قد خالف المشروع ، ولم يقر الكلمة على معاهدها ،فإن جاز أن يأتي شرع التوراة بتحريم ما كان إبراهيم عليه السلام ومن تقدمه على استباحته ، فجائز أن شريعة أخرى بتحليل يما كان في التوراة محظوراً ، وأيضاً فلا تخلو المحظورات من أن يكون ذلك المحظور لعينه ، وأما أن لا يكرهه لعينه ’

(١) المصدر السابق نفس الصفحة .
(٢)كتاب التلخيص في أصول الفقه ، للإمام الجوينى (ت ٤٧٨هـ)، المحقق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري ، دار البشائر الإسلامية – بيروت، (٢/ ٤٥٠)
(٣) بذل المجهود في إفحام اليهود (صـــــ٢٧)

بل نهى عنه في بعض الأزمنة "[١].

وهنا يظهر تأثر الإمام السموأل بالإمام ابن حزم حين قال :" ولا فرق في العقول بين شيء أحله الله تعالى ثم حرمه وبين شيء حرمه الله ثم أحله والمفرق بين هذين مكابر للعيان مجاهر بالقحة ولو قلب عله قالب كلامه ما كان بينهما فرق وفي توراتهم أن الله تعالى افترض عليهم بالوحي إلى موسى عليه السلام وأمرهم موسى بذلك في نص توراتهم أن لا يتركوا من الأمم السبعة الذين كانوا سكانا في فلسطين والأردن أحدا أصلا إلا قتلوه ثم أنه لما اختدعتهم الأمة التي يقال لها عباوون وهي إحدى تلك الأمم التي افترض عليهم قتلهم واستئصالهم فتحيلوا عليهم وأظهروا لهم أنهم أتو من بلاد بعيدة حتى عاهدوهم فلما عرفوا بعد ذلك أنهم من السكان في الأرض التي أمروا بقتل أهلها حرم الله عز وجل عليهم قتلهم على لسان يوشع النبي بنص كتاب يوشع عندهم فأبقوهم ينقلون الماء والحطب إلى مكان التقديس وهذا هو النسخ الذي أنكروا بلا كلفة وفي توراتهم البداء الذي هو أشد من النسخ ."[٢] **ثم وضح الإمام السموأل رده على هذه الشبهة بالإشارة إلى نقاط مهمة**

أولاً:الاشارة إلى نوعين من المحظورات :

النوع الأول :أن يكون تحريمها مفترضاً في كل الأزمنة لأن الله تعالى يكره ذلك المحظور لعينه .

النوع الثاني : أن ينهى الله عنها في بعض الأزمنة لأن الله تعالى لا يكرهها لعينها كالعمل يوم السبت فإن ذلك غير محرم على إبراهيم عليه السلام ومن تقدمه وهو محرم على اليهود ، فليس النهى عنه لعينه ، وإذا لزمهم أن تحريم الأعمال الصناعية في يوم السبت ليس بمحرم في جميع أوقات السبت ، فليس يمتنع أن ينسخ هذا التحريم في زمن آخر "[٣].

ثانياً: يبرهن السموأل رده قائلاً :" إذا كانت التعبدات الشرعية غير

(١) المصدر السابق (صـــ٢٨)
(٢)الفصل في الملل والأهواء والنحل أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (١/ ٨٢، ٨٣)
(٣) بذل المجهود في إفحام اليهود صــــــــــ٢٨

عائدة بنفع لله عزوجل ، ولا دافعة عنه ضرراً لتنزهة سبحانه وتعالى عن الانتفاع والتأذي بشئ، فما الذي يحيل أو يمنع كونه تعالى يأمر أمة بشريعة ، ثم ينهى أمة أخرى عنها ' أو يحرم محظورا على قوم ، ويحله لأولادهم ، ثم يحظره ثانية على من يجئ بعدهم ، وكيف يجوز للمتعبد أن يعارض الرسول في تحليله ما كان حراماً على قوم ويستدل بذلك على كذبه بعد أن جاء بالبينة ، وأوجب العقلاء تصديقه وتحكيمه ، أليس هذا تحكماً وضلالاً وعدولاً عن الحق "[(١)].

ثانياً: ويبرهن السموأل على رده أيضاً بأنه إذا ظهر رسول مؤيد بمعجزات الرسالة وأعلام النبوة في زمن آخر بعد فترة طويلة فجائز أن يأتي بنسخ كثير من أحكام الشريعة سواء حظر مباحتها ، أو أباح محظوراتها ، ثم تساءل متعجباً: كيف يجوز أن يحاج من جاء بالبينة وهو رسول باعتراض فيما ورد به من أمر ونهى سواء وافق العقول البشرية أو باينها ، مع أن اليهود أنفسهم قد تعبدوا بفرائض مباينة للعقول ، مثل طهارة أنجاسهم برماد البقرة التي قام الإمام الهارونى بحرقها قبيل الحج ، ونجاسة طاهرتهم بذلك الرماد بعينه[(٢)]، مع أن الأفعال والأوامر الإلهية منزهة عن الوقوف عند مقتضى العقول البشرية .[(٣)]

كما جاء في إظهار الحق :" أن النسخ يطرأ على الأحكام التي تكون عملية محتملة للوجود والعدم غير مؤبدة وغير مؤقتة، وتسمى الأحكام المطلقة، ويشترط فيها أن لا يكون الوقت والمكلف والوجه متحدين ، بل لا بد من الاختلاف في كل أو بعض من هذه الثلاثة، وليس معنى النسخ المصطلح أن الله أمر أو نهى أولاً وما كان يعلم عاقبته ثم بدا له رأيٌ فنسخ الحكم الأول ليلزم الجهل، أو أمر أو نهى ثم نسخ مع الاتحاد في الأمور المسطورة ليلزم الشناعة عقلاً ، وإن قلنا إنه كان عالماً بالعاقبة فإن هذا النسخ لا يجوز عندنا، تعالى الله عن ذلك عُلُواً كبيراً، بل معناه أن الله كان يعلم أن هذا الحكم يكون باقياً على المكلفين إلى الوقت الفلاني ثم يُنسخُ فلما

(١)بذل المجهود في إفحام اليهود صـــــــــــ٣٠
(٢) سفر العدد ١٩:(٢: ١٣).
(٣)بذل المجهود في إفحام اليهود صـــــــ٢٩

جاء الوقت أرسل حكماً آخر ظهر منه الزيادة والنقصان أو الرفع مطلقاً، ففي الحقيقة هذا بيان انتهاء الحكم الأول، لكن لما لم يكن الوقت مذكوراً في الحكم الأول فعند ورود الثاني يتخيل لقصور علمنا في الظاهر أنه تغير"(١)

ومن هنا جاء الإمام السموأل بالعديد من الأمثلة في أحكام التوراة يثبت بها النسخ من وجوه عدة :

المثال الأول: نسخ الراحة يوم السبت إذا وافق الصوم الأكبر بما فيه من مشقة السبت :

يذكر السموأل أن اليهود يقرون بأن فرض تقديس السبت أقدم من فرض الصوم الأكبر ، لأنهم إن قالوا الصوم أقدم كذبناهم بأن السبت فرض عليهم في أول إعطائهم المن ، والصوم الأكبر فرض عليهم بعد نزول اللوحين ومخالفتهم وعبادتهم العجل ، ولما رفع عنهم عقاب ذنبهم ذلك في هذا اليوم ، فرض عليهم صومه وتعظيمه ، فإذا أقروا بتقديم السبت ، قيل لهم ما تقولون في يوم السبت هل فرضت فيه عليكم الراحة والدعة وتحريم المشقات أم لا ، فيقولون : بلى ، فنقول لهم : فلم فرضتم فيه الصوم إذا اتفق صومكم الأكبر يوم السبت مع كون صومكم فرض بعد فريضة السبت ولكم في ذلك أنواع من المشقة ، منها القيام جميع النهار ؟ وهم لا يجدون بذلك رداً ويجب عليهم الاعتراف بأنه قد تم نسخ فريضة السبت (٢)

المثال الثاني: نسخ الراحة يوم السبت بأعمال عيسى عليه السلام :

يذكر السموأل أن اليهود يعتبرون عيسى عليه السلام من العلماء وكان يطبب المرضى بالأدوية ويوهمهم أن الانتفاع المنال حصل لهم بدعائه ، وأنه أبرأ جماعة من المرضى من أسقامهم يوم السبت ، فأنكرت عليه اليهود ذلك ، فقال لهم : أخبرونى عن الشاة من الغنم إن وقعت في بئر يوم السبت أما تنزلون إليها وتحلون السبت لتخليصها ؟، قالوا : بلى ، قال : فلماذا

(١)إظهار الحق محمد رحمت الله الهندي الحنفي دراسة وتحقيق وتعليق : الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل مكاوي ، الأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة الملك سعود – الرياض ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية ، الطبعة : الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م، (٣/صـــــــ٦٤٤)

(٢)بذل المجهود في إفحام اليهود صــــــــ٣١

أحللتم السبت لتخليص الغنم، ولا تحلونه لتخليص الإنسان الذي هو أكبر حرمة من الغنم ؟ فأفحمهم ولم يؤمنوا.[(١)] ، ويذكر أيضاً أن عيسى عليه السلام كان مع جماعة من تلاميذ في جبل ، ولم يحضرها الطعام فأذن لهم في تناول الحشيش يوم السبت ، فقال لهم : أرأيتم لو أن أحدهم كان وحيداً مع قوم على غير ملته ، وأمروه بقطع النبات يوم السبت وإلقائه لدوابهم ، ألستم تجيزون له قطع النبات ؟ قالوا بلى ، قال : فإن هؤلاء القوم أمرتهم بقطع النبات ليأكلوه ، لينقذوا أنفسهم ، لا للطعن في يوم السبت [(٢)].

حاول ابن كمونه الرد على السموأل ولكن لم يقنعه فقال :" وأما فريضة الختان والسبت فالختان إيجابه أسبق من إيجاب السبت فعلم من ذلك أنه حيث حرمت الأعمال الصناعية في السبت كان الختان مستثنى فلا نسخ، وحال أمثاله من التوراة لا يخفى على ذي بصيرة "[(٣)]

وعلق السموأل وقال :" كل ذلك ملاطفة منه لعقولهم التي لا ينطبع فيها النسخ ، ولئن كان ما يحكونه من ذلك صحيحاً ، لعله كان في ابتداء أمر المسيح عليه السلام".[(٤)]

المثال الثالث : نسخ طهارة من مس عظماً أو وطئ قبراً أو حضر ميتاً إلا برماد بقرة الهارونى المحروقة :

يذكر الإمام السموأل أن اليهود يدعون أن من مس عظماً أو وطئ قبراً أو حضر ميتاً عند موته ، فإنه يصير من النجاسة في حالة لا طهارة له منها إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهارونى يحرقها ، فلا يمكنهم مخالفة ذلك لأنه نص ما يتداولونه "[(٥)]

ويتساءل الإمام السموأل إن كان اليهود على ذلك اليوم فإن قالوا لا

---

(١)بذل المجهود في إفحام اليهود صـــ٣٢
(٢)المصدر السابق نفس الصفحة
(٣)تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام لابن كمونة ، دار الأنصار صـــ٤٧
(٤) بذل المجهود في إفحام اليهود صـــــــــ٣٢.
(٥)بذل المجهود في إفحام اليهود صـــــ٣٣، وانظر سفر الأحبار (اللاويين)(١/٢١-٣)، سفر العدد (١٩/ ١-٤)،(١٩/٥-٦)

نقدر فكيف يجعلون أن من لمس العظم والقبر والميت فهو طاهر ، يصلح للصلاة وحمل الكتاب ، والذي في كتابهم خلاف ذلك ، حتى لو قالوا لأن عدمنا أسباب الطهارة وهى رماد البقرة والإمام المطهر المستغفر"(١).

ويسأل الإمام السموأل اليهود ويقول :" فهل ترون هذا الأمر مع عجزكم عنه تستغنون عنه في الطهارة أم لا ؟ ، **ويرد الإمام السموأل على هذه الشبهة** ويقول :"إن قالوا نعم ، قد نستغني عنه فقد أقروا بالنسخ لتلك الفريضة لحال اقتضاها هذا الزمان ، وإن قالوا لا نستغني في الطهارة عن ذلك الطهور ، فقد أقروا بأنهم الأنجاس أبدا ما داموا لا يقدرون على سبب الطهارة ". (٢)

حاول هنا ابن كمونه(٣) أن يوضح بعدم وجود نسخ في الحكم السابق وأن المعنى من القذارات معنى غير مباشر ومتوهم فقال :" إن اللفظة التي يعبر بها في اللغة العبرانية عن النجاسة تستعمل لثلاثة معان ، فتقال على العصيان وخلاف المأمور به من فعل أو رأى ، وتقال على القذارات كالغائط والبول ، وتقال على المعاني المتوهمة ، أعني لمس كذا أو حمل كذا أو مساقفة كذا ، وملامس الميت إنما تطلق عليه هذه اللفظة بهذا المعنى الثالث ، وحكمه أن لا يدانى شيئاً من أمور القدس إلا بعد التطهير برماد البقرة المذكورة على وجه التعبد ، ولا يمنع الصلاة وحمل المصحف قبل التطهير بذلك ، بخلاف المتنجس بالنجاسة التي بمعنى مباشرة المستقذرات ، فإن المتنجس بها ممنوع من الصلاة ومن حمل المصحف ويكفى في التطهر

(١)بذل المجهود في إفحام اليهود صـــ٣٥.
(٢)بذل المجهود في إفحام اليهود صـــ٣٦
(٣)بن كمونة :عز الدولة أبو الرضا سعد بن نجم الدولة منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كمونة الاسرائيلي البغدادي الحكيم الأديب، كان عالما بالقواعد الحكميّة والقوانين المنطقية، مبرّزا في فنون الآداب، وعيون النكت الرياضية والحساب، شرح كتاب «الإشارات» لأبي علي بن سينا وقصده الناس للاقتباس من فوائده ...واشتهر ببغداد أنّ عز الدولة بن كمونة اليهودي صنّف كتابا سماه «الأبحاث في الملل الثلاث» تعرض فيه لذكر النبوات ، توفي بالحلة سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، مجمع الآداب في معجم الألقاب، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني (ت ٧٢٣ هـ)، تحقيق : محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران ، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ ،(١٩١/١) وانظر الأعلام للزر كلى (١٠٢/٣).

منها الماء فقط ، وقال :" فمنشأ هذا التشكيك الجهل باختلاف معاني اللفظة المدلول بها النجاسة في لغة العبرانين"[١]

لم يستطع ابن كمونه الاعتراض على الإمام السموأل وإقناعه فعلى الرغم من تأويله للألفاظ إلا أن كلامه يؤكد أنه لا يمكن لليهودي أن يستغنى عن التطهر برماد البقرة .

المثال الرابع : نسخ اعتزال الحائض بعد انقطاع الحيض وارتفاعه سبعة أيام :

يذكر الإمام السموأل ادعاء اليهود اعتزال الحائض بعد انقطاع الحيض وارتفاعه سبعة أيام اعتزالاً يفرطون فيه إلى حد أن أحدهم لو لمس ثوبه ثوب المرأة الحائض لاستنجسوه مع ثوبه".[٢]

ورد الإمام السموأل على ذلك :" فإن قالوا : لأن ذلك من أحكام التوراة ، قلنا أليس في التوراة يراد به الطهارة ؟ فإذا كانت الطهارة قد فاتتكم ، فإن النجاسة التي أنتم فيها على معتقدكم لا ترتفع بالغسل كنجاسة الحيض . فهي لذلك أشد من نجاسة الحيض ، ثم أنكم ترون أن الحائض طاهرة إذا كانت من غير ملتكم ، ولا تستنجسون لا مسها ولا الثوب الذي تلمسه ، وتخصيص الأمر أعنى نجاسة الحائض بطائفتكم مما ليس في التوراة ، فهذا كله منكم نسخ أو تبديل "[٣].

المثال الخامس:النسخ في اختلاف أقوال فقهاء اليهود في مسائل الخلاف والمذهب واعتباره اجتهاد ونظر :

يذكر الإمام السموأل اختلاف فقهاء اليهود في مسائل الخلاف والمذهب كان ثمرة اجتهاد واستدلال منقولاً بعينه أم لا ؟ فهم يقولون إن جميع ما في كتب فقهنا نقله الفقهاء الأحبار عن الثقات من السلف عن يوشع بن نون عن موسى عليه السلام عن الله تعالى . **ورد عليه الإمام وقال** :" إن المسألة الواحدة التي اختلف فيها اثنان من فقهائكم أن يكون كل واحد منهما ينقل

---

(١)تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث لابن كمونة صـــ٤٦

(٢)بذل المجهود في أفحام اليهود صـــــ٣٦، وانظر سفر اللاويين (١٥/١٩-٢٠)، (٢٥/ ٢١-٢٢)

(٣)بذل المجهود في أفحام اليهود صـ٣٧

مذهبه فيها نقلاً مستنداً إلى الله عز وجل ، وفى ذلك من الشناعة اللازمة أن يجعلوا الله قد أمر في تلك المسألة بشئ وخلافه ، وهو النسخ الذى يدفعونه بعينه ، وإن قالوا : إن الخلاف غير مستعمل ، لأن الأولين كانوا بعد اختلافهم في المذهب في المسألة يرجعون بها إلى أصل واحد هو المقطوع به(١)

قال ابن كمونة :" أما مسائل فقههم ليست مأخوذة من النقل ، بل منها ما هو مأخوذ من النص ومنها ما هو مأخوذ من النقل ، ومنها ما عرف بطريق النظر والقياس ، ومقدماته مأخوذة من النص والنقل ، والخلاف غير واقع في النقل الصحيح ولكنه يقع فيما كان على وجه النظر والاجتهاد ، ودعوى أن نقلهم كله مأخوذ عن الثقات فهو مالم يقل به أحد منهم ، فضلاً عن جميعهم " (٢)

رد الإمام السموأل وقال :" إن رجوعهم بعد الاختلاف على الاتفاق على مذهب واحد إما لأن أحدهم رجع عما نقل أو طعن في نقله ، فيلزمه السقوط عن العدالة ، ولا يجوز لكم أن تعاودوا الالتفات إلى نقله ، وإما أن يكون الفقهاء اجتمعوا على نسخ أحد المذهبين ، أو تكون رواية أحدهما ناسخة لرواية الآخر ، وما من الفقهاء إلا قد ألغى مذهبه في مسائل كثيرة ، وهذا جنون ممن لا يقر بالنسخ ولا يرى كلام أصحاب الخلاف اجتهاد ونظر بل نقلاً محضاً"(٣)

المثال السادس : ادعاء اليهود أن صلواتهم هي التي أقرها موسى عليه السلام وفارقهم عليها :

يبدأ الإمام السموأل كلامه في هذه الشبهة بسؤال اليهود عن صلواتهم وصومهم هل هي التي فارقهم عليها موسى عليه السلام ، فإن قالوا : نعم يرد عليهم الإمام السموأل :" فهل كان موسى وأمته يقولون في صلاتهم كما تقولون في التوراة :"اللهم اضرب ببوق عظيم لعتقنا، و أقبضنا جميعاً من

(١)المصدر السابق صـ٣٧
(٢)تنقيح الأبحاث لابن كمونة صــ٤٦
(٣)بذل المجهود في أفحام اليهود صـ٣٧

أربعة أقطار الأرض إلى قدسك، سبحانك يا جامع تشتيت قوم بني إسرائيل

أم هل كانوا على عهد موسى -عليه السلام- يقولون كما تقولون في كل يوم:" رد حكامنا كالأولين، ومسراتنا كالابتداء، وابن يروشلم قرية قدسك في أيامنا، وأعزنا ببنائها، سبحانك يا بابن يروشليم."(١) ، **وعلق الإمام وقال** :" أما هذه فصول شاهدة بأنكم لفقتموها بعد زوال الدولة؟"(٢).

المثال السابع: ادعاء اليهود بفرض موسى عليه السلام لصوم إحراق بيت المقدس وصوم حصاره وصوم كداليا (جداليا) وصوم صلب هامان :

يذكر الإمام السموأل فرض اليهود صوم إحراق بيت المقدس وصوم حصاره وصوم كدالياو صوم صلب هامان ، ويسألهم هل كان موسى -عليه السلام- يصومها وأمر بها، هو أو خليفته يوشع؟ ،هل هذه الأمور مفترضة بالتوراة، أو زيدت لأسباب اقتضت زيادتها في هذه الأعصار؟ ، فإن قالوا: وكيف يلزمنا النسخ بهذه الآي؟ "(٣)

الرد على هذه الشبهة :" قلنا: لأن التوراة بهذه الآية نطقت بها التوراة :"لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئاً، وإذا زدتم أشياء من الفرائض، فقد نسختم تلك الآية"(٤)

ومما يوضح ذلك أنهم كانوا يفرضون على أنفسهم أعياداً ليست في شريعة موسى عليه السلام ولا في التوراة التي أنزلت عليه فزادوا عيد هامان المسمى عندهم (بوريم)وقراءة سورة هامان وهى من الآيات والفرائض الواجبة عليهم ...، وهذا ومثله يدل على أن كل ما يعتقدونه فاسد وكذلك جميع ما في توراتهم ."(٥)

---

(١)بذل المجهود في أفحام اليهود صـ٣٩،انظر كتاب رحلة بنيامين التطيلي النباري الإسباني اليهودي (المتوفى: ٥٦٩هـ) ، المجمع الثقافي، أبو ظبي ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م ، ص٩٠

(٢) بذل المجهود في إفحام اليهود صـ٤٠

(٣)بذل المجهود في إفحام اليهود صـ٤٠

(٤) انظر جاء في سفر التثنية(٤/ ١) :" فالآن يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التي أنا أعلمكم لتعملوها "، وانظر (٤/٢) :" لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به، ولا تنقصوا منه؛ لكي تحفظوا وصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها"، انظر بذل المجهود في إفحام اليهود.صـــــــ٤٠

(٥) الحسام الممدود في الرد على اليهود ، عبد الحق مغربى ، دار البشائر الإسلامية ،

المثال الثامن: إثبات النسخ بعزل الأبكار عن ولاية الاختصاص وأخذ أولاد لاوى عوضاً عنهم "

وضح الإمام السموأل لليهود أن الله اختار من بني إسرائيل الأبكار ليكونوا خواص في الخدمة للأقداس، ووضح أيضاً أليس عندكم أيضا أن موسى -عليه السلام- لما نزل من الجبل، ومعه الألواح، ووجد القوم عاكفين على العجل، وقف بطرف المعسكر ونادى: من كان لله تعالى فليحضرني، فانضم إليه بنو لاوى، ولم ينضم إليه البكور؛ إذ هم خاصة الله يومئذ، دون أولاد لاوى، فلما خذله البكور ونصره أولاد لاوى، قال الله لموسى:"وقد أخذت اللاويين عوضا عن كل بكر في بني إسرائيل".(١)

وعقب الإمام السموأل وقال :" وفي عقيب نزول هذه الآية، أليس أن الله عزل الأبكار عن ولاية الاختصاص، وأخذ أولاد لاوى عوضا عنهم؟ فهم لا يقدرون على إنكار ذلك. وهذا يلزمهم منه القول بالبداء أو النسخ"(٢) **، وهذا المثال دليل واضح للنسخ في التوراة في حكم المنسوخ وهو اختصاص الأبكار بالخدمة ' والحكم الناسخ هو جعل الخدمة للاويين .**

ووضح الإمام الآمدي الفرق بين النسخ والبداء فقال :" وكشف الغطاء عن ذلك يتحقق بالفرق بين النسخ والبداء فنقول: إذا عرف معنى البداء وأنه مستلزم للعلم بعد الجهل والظهور بعد الخفاء وأن ذلك مستحيل في حق الله تعالى على ما بيناه في كتبنا الكلامية فالنسخ ليس كذلك فإنه لا يبعد أن يعلم الله تعالى في الأزل استلزام الأمر بفعل من الأفعال للمصلحة في وقت معين واستلزام نسخه للمصلحة في وقت آخر، فإذا نسخه في الوقت الذي علم نسخه فيه فلا يلزم من ذلك أن يكون قد ظهر له ما كان خفيا عنه، ولا أن يكون قد أمر بما فيه مفسدة، ولا نهى عما فيه مصلحة، وذلك كإباحته الأكل في الليل من رمضان وتحريمه في نهاره ، فإن قيل: لا يخلو إما أن يكون الباري تعالى قد علم استمرار أمره بالفعل المعين أبدا، أو إلى

بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ، صـــــ١٣٥-١٣٨.

(١)بذل المجهود في إفحام اليهود.صــــــــ٤١ ، انظر سفر الخروج ١٣/ ٢، ١، (١٣/ ١١ - ١٣) ،(١٣/ ١٤ - ١٦) .

(٢) بذل المجهود في إفحام اليهود.صــــــــ٥٢.

وقت معين، وعلم أنه لا يكون مأمورا بعد ذلك الوقت ، فإن كان الأول استحال نسخه لما فيه من انقلاب علمه جهلا، وإن كان الثاني، فالحكم يكون منتهيا بنفسه في ذلك الوقت فلا يتصور بقاؤه بعد، وإلا لانقلب علم الباري جهلا، وإذا كان منتهيا بنفسه فالنسخ لا يكون مؤثرا فيه لا في حالة علم الله تعالى أنه يكون الفعل مأمورا فيها، ولا في حالة علم الله أنه لا يكون مأمورا فيها لما فيه من انقلاب علمه إلى الجهل، وإذا لم يكن الناسخ مؤثرا فيه فلا يتصور نسخه ، قلنا: الأمر مطلق، والباري علم أن الأمر بالفعل ينتهي بالناسخ في الوقت الذي علم أن النسخ يقع فيه لا أنه علم انتهاءه إلى ذلك الوقت مطلقا بل علم انتهاءه بالنسخ فلو لم يكن منتهيا بالنسخ لانقلب علمه جهلا، وعلى هذا فلا يلزم من انتهاء الأمر في ذلك الوقت بالنسخ أن لا يكون الأمر منسوخا "(١)

الشبهة الثانية : كفريات الوصف والتجسيم:

انحرفت الديانة اليهودية عن عقيدتها ، وهذا أدى بأتباعها إلى التخبط في أسماء وصفات الله تعالى ، فجحدوا في صفات الكمال واستبدلوها بصفات النقص التي لا تليق بالذات العليا ، بل أكثر من ذلك فإن اليهود سطروا هذه الصفات داخل كتبهم واعتبروه وحياً من عند الله تعالى وما هي من عند الله ، لكن نجد في بعض النصوص الواردة في التوراه صفات الكمال ، لكن هذه الصفات مقرونة بالتشبيه والتجسيم ، إما أنهم انحرفوا في إثباتها ، أو ألصقوا بها زيادات تفسد معناها وتخرجها عن حقيقتها ، أو أنهم جاءوا بصفات أخرى تعارضها ، فلم تبق لها الدلالة على الكمال المطلق لله سبحانه وتعالى "(٢)

---

(١)الإحكام في أصول الأحكام ،للآمدي، المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ، (٣/ ١١٢)

(٢) عقيدة اليهود في الأسماء والصفات من خلال نصوص التوراه ، د / عائشة عدنان ، جامعة سيدى محمد عبد الله ، سايس فاس، المغرب ، مجلد (٤) عدد ١/ ٢٠١٩م، صـ١١٠

تنقسم هذه الشبهة إلى :

- ضلال اليهود فى صلواتهم ومخاطبتهم الله عزوجل بطريقة لا تليق بجلالته.

- ادعاء رؤية مشايخهم لله عزوجل مع موسى عليه السلام .

- ادعاء اليهود أن اللوحين مكتوبان بإصبع الله .

- ادعاء اليهود ندم الله على خلق البشر

ضلال اليهود فى صلواتهم ومخاطبتهم الله عزوجل بطريقة لا تليق بجلالته.

وصف الإمام السموأل صلوات اليهود بالفنون الضلالية المخالفة للمشروع والمعقول،وذكر منها :" أنهم مع ذهاب دولتهم وتفرق شملهم، وعلمهم بالغضب الممدود عليهم. يقولون كل يوم في صلواتهم: إنهم أبناء الله وأحباؤه. وذلك قولهم كل يوم في الصلاة: " الدهر أحببتنا يا إلهنا"، وقوله :"ارددنا يا أبانا إلى شريعتك"، " وقوله :" يا أبانا يا ملكنا يا إلهنا ، وقوله :" أنت اللهم أبونا منقذنا ، وقوله :" وجميع الذين اقتفوا أثر نبيك، وأعداء جماعتك كلهم غطاهم البحر، واحد منهم لم يبق"[(١)]

ويتابع الإمام السموأل وصفهم ويقول :" ويمثلون أنفسهم بعناقيد العنب، وسائر الأمم بالشوك المحيط بأعالي حيطان الكرم، وهذا من قلة عقولهم ونظرهم، فإن المعتني بمصالح الكرم، إنما يجعل على حيطانه الشوك حفظا وحياطة للكرم، ولسنا نرى لليهود من بقية الأمم إلا الضرر والذل والصغار. وذلك مبطل لقولهم"[(٢)].

يوضح الإمام السموأل أن اليهود في العشر الأول من الشهر الأول من كل سنة يقولون في صلاتهم:" يا إلهنا وإله آبائنا املك على جميع أهل الأرض ليقول كل ذي نسمة: الله إله إسرائيل قد ملك، ومملكته في الكل

(١)بذل المجهود في إفحام اليهود. صـ١٠٠

(٢)بذل المجهود في إفحام اليهود صـ١٠٢.

متسلطنة."(١) ، ويقولون في هذه الصلوات أيضا: "وسيكون لله الملك، وفي ذلك اليوم يكون الله واحد". ويعنون بذلك أنه لا يظهر أن الملك لله إلا إذا صارت الدولة إلى اليهود الذين هم أمته وصفوته، فأما ما دامت الدولة لغير اليهود، فإن الله خامل الذكر عند الأمم، وأنه مطعون في ملكه مشكوك في قدرته. فهذا معنى قولهم: "اللهم املك على جميع أهل الأرض"، ومعنى قولهم: "وسيكون الملك لله".(٢)

وعلق الإمام السموأل وقال :" وهؤلاء إنما نطقوا بهذه الهذيانات والكفريات من شدة الضجر من الذل والعبودية والصغار، وانتظار فرج لا يزداد منهم إلا بعدا ، فأوقعهم ذلك في الطيش والضجر، وأخرجهم إلى نوع من الزندقة والهذيان الذي لا تستحسنه إلا عقولهم الركيكة. فتجرءوا على الله بهذه المناجاة القبيحة.... فترى أحدهم إذا تلا هذه الكلمات في الصلاة يقشعر جلده، ولا يشك في أن كلماته تقع عند الله تعالى بموقع عظيم، وأنه يؤثر في ربه، ويحركه بذلك، ويهزه وينخيه، وهؤلاء على الحقيقة ينبغي أن يُرحم جهلهم وضعف عقولهم."(٣)

- ادعاء رؤية مشايخهم لله عزوجل مع موسى عليه السلام .

يذكر الإمام السموأل أن اليهود يدعون أن موسى صعد الجبل مع مشايخ أمته، فأبصروا الله جهرة، وتحت رجليه كرسي منظره كمنظر البلور وهذا الفحش أشنع من الذي قبله ، ولا شك أن من رزقه الله عقلاً يميز به أدنى تمييز ، يعلم أن هذا باطل محض وكفر صريح.(٤)

ووضح الإمام السموأل ضلال اليهود في التجسيم وتأويل الألفاظ ويقول :" ويطول الكتاب إن عددنا ما عندهم من كفريات التجسيم، على أن أحبارهم قد تهذبوا كثيرا عن معتقد آبائهم بما استفادوا من عندهم بما يدفع عنهم إنكار المسلمين عليهم ما تقتضيه الألفاظ التي فسروها ونقلوها. وصاروا متى سئلوا عما عندهم من هذه الفضائح استتروا بالجحد والبهتان

(١)المصدر السابق صـ١٠١
(٢)المصدر السابق صـ١١٠، ١١١
(٣)بذل المجهود في إفحام اليهود صـ١١٢
(٤)المصدر السابق صـ١١٢

خوفا من فظيع ما يلزمهم من الشناعة"(١)

وعلق ابن كمونة وقال :" وأما المشايخ أبصروا الله فقد قيل أنه وإن كان في اليقظة فهو على مثل ما يرى في المنام لا بالحس الظاهر ،والدلالة القاطعة على ذلك أنه حيث نهاهم الله تعالى في التوراة ، في موضع آخر عن التشبيه وحذرهم من اعتقاده ذكرهم أنهم لم يروا في ذلك الموقف شيئاً من الصور ، وما ذاك إلا أنه نفى الرؤية الحقيقية بالعين الباصرة ، فتعين أن تكون الرؤية المثبتة في هذا الموضع لا من ذاك القبيل ، وذاك لأن الله تعالى تلطف فوضع نسبة بين الحس الباطن والمعنى غير المتجسم ، فجعل لمن شرفه خلقه عينا باطنة ترى أشياء ويستدل بالعقل على معاني تلك الأشياء ولبابها، ومن خلقت له تلك العين هو البصير بالحقيقة ، ولعل تلك العين هي القوة المتخيلة مهما خدمت القوة العقلية فترى صورة عظيمة هائلة تدل على حقائق لا ريب فيها وكما تقدر على تحصيل معاني صلاة بمجرد الفكر دون قراءة ، ولا عد مائة مثلاً دون نطق ، لا سيما إن أردت أن تؤلفها مع أعداد مختلفة ، فكذلك ، لولا الحس الذي يضبط النظام العقلى بمثالات وحكايات ، لكان لا ينضبط ، فهكذا يحتمل أن يكون الحال فيما انتظم لموسى ومشايخ بنى إسرائيل من عظمة الرب تعالى بما رأوه من عظم تلك الصورة المخلوقة لهم وبهائها وبما اقترن برؤيتها من الأمور الهائلة . "(٢)

منهج الإمام السموأل في الرد على شبهات اليهود الخاصة بالإلهيات

كان الإمام السموأل يعرض شبهات اليهود ويرد عليها بطريقة مدهشة ، فهو لا يستقل بعرض وجهة نظره فقط بل يعرض وجهة نظر اليهود من خلال نصوص التوراة نفسها ثم يعرض وجهة نظره محاولاً إثباتها وفرضها خلال مجريات الحوار الجدلي .

اكتسب الإمام السموأل من خلال دراسته للعلوم الرياضية ملكة عقلية فذة ومهذبة مصحوبة بالدليل والبرهان ومتحررة من مجاراة القديم والتقليد

(١) المصدر السابق صـ١١٤
(٢) تنقيح الأبحاث لابن كمونه صـ٣٤

،ووظف هذا الأصل العلمي المنهجي في مناقشة دعوى اليهود وإحباط مزاعمهم باستخدام مهارة و قدرة عظيمة في إحقاق الحق وإبطال الباطل إما بأدلة نقلية من التوراة نفسها أو بأدلة عقلية مستخدماً أسلوبه المقنع .

أولاً: المنهج العقلي عند الإمام السموأل في الرد على شبهات اليهود الخاصة بالإلهيات :

استخدم الإمام السموأل المنهج العقلي في الرد على الشبهات مستخدماً العديد من الأساليب القوية التي أضفت لكتابه القوة والحجة منها :

أسلوب الإلزام :

اعتمد الإمام السموأل أسلوب الإلزام من أجل إثبات نسخ الإسلام للشرائع السابقة ، مستثمراً معرفته العميقة بالشريعة اليهودية ، منتقياً مواضيع غاية في الدقة ، صائغاً لها شكل أسئلة ، متدرجاً فيها من الكل إلى الجزء ، ومن الآخر إلى الذات ، ومن الماضي إلى الحاضر ، وقد تناولت هذه الأسئلة مقارنة شريعة التوراة بالشرائع التي قبلها لإثبات الزيادات التي جاء بها موسى وبيان درجتها ونوعها كإباحة محرم وتحريم مباح ، وكبيان تقديم الحكم المتأخر على المتقدم في حال التعارض ، وكاستحالة العمل بشريعة موسى لتعذر القيام بالفرائض كما نصت عليه .

وهكذا سار الكاتب في طرح الأسئلة على المخالفين مستدلاً بأدلة من التوراة ، مستعملاً طرق الاستدلال عند علماء الجدل المسلمين التي أبرز منها الباحث ثلاثاً : وهى الاستفهام التقريري ومجاراة الخصم وموافقته على مقدمة فاسدة لإثبات فساد نتيجتها واستحالتها ومطالبة الخصم بتصحيح دعواه واثبات كذبه في مدعاه "(١)

أسلوب الإقناع العقلي :

فأقنع اليهود بنصوصهم من التوراة ، ونرى ذلك في شبهة النسخ فقد استطرد الإمام السموأل في الرد على هذه الشبهة وذكر فيها نقاطاً كثيرة مهمة، ثم قسم الرد إلى عدة فقرات سالكاً فيها طريقة ماهرة وقوية للطعن

(١) المنهج النقدي ووظيفته في توجيه الحوار الديني في كتابات المهتدين إلى الإسلام من أهل الكتاب ، للدكتور مصطفى جمعة ، عبد العزيز عارض ، مقال في مجلة المدونة ، مجمع الفقه الإسلامي بالهند ، مجلة ٢ عدد ٨ / ص ١٤٧ لعام ٢٠١٦م .

في نصوص التوراة حتى جاء بالدليل والحجة على النسخ من التوراة نفسها ، وخاصة عندما خاطب السموأل اليهود بالنص العبري في كل فقرة ويذكر ترجمتها للعربية بعدها،وكان الإمام السموأل أمينًا في نقل النص من لغته الأساسية وأميناً أيضا في ترجمة هذا النص وهذا يوضح تمكنه في هذه اللغة .

فذكر ادعاء اليهود بعدم جواز نسخ التوراة وأثبت الإمام السموأل بطلان ذلك بعد ذكر ما شرعه الله عزوجل على نوح عليه السلام بالقصاص في القتل وما شرعه الله عزوجل على إبراهيم عليه السلام بالختان للمولود في اليوم الثامن من ميلاده ، وذكر ما جاء في التوراة من نسخ العمل يوم السبت فحرمت العمل فيه .

وأورد الإمام السموأل إنكار اليهود للنسخ لاعتباره كمن أمر بشيء وضده وهذا محال على الله عزوجل فدافع الإمام السموأل عن ذلك وأن هذا ليس من باب التناقض ولكن يكون ذلك لو كان الحكم الأول والثاني في زمن واحد ، ولكن النسخ كان في أزمنة مختلفة مستعينا بفكرة قانون التمانع والتوارد .

ثم تناول الإمام السموأل ادعاء اليهود بكراهية النسخ باعتباره إباحة محظور وهنا تظهر فصاحة وبلاغة الإمام السموأل في رده على هذا الادعاء موضحاً أن من أحل ما حظره الشرع في طبقة المحرم لما أحله الشرع ، لأن كل منهما قد خالف المشروع ، ولم يقر الكلمة على معاهدها،واستند الإمام السموأل في رده على هذه الشبهة إلى أدلة صريحة في الحوار الجدلي مع اليهود ، مزيلاً ذلك بالأمثلة الواضحة من التوراة لتدل على وجود النسخ فيها كنسخ الراحة يوم السبت ونسخ الطهارات ونسخ الصيام عند اليهود ،وغيرها من الأمثلة التي أثبت من خلالها بالبرهان القاطع أن النسخ بداء وأن البداء محال على الله ،لأنه مستلزم للعلم بعد الجهل والظهور بعد الخفاء فلا يجوز في حق عالم الغيب والشهادة، الذي كمُل في علمه و صفاته.

وإذا كان المهتدى السموأل أثبت وقوع نسخ التوراة بشريعة الإسلام فإن المنطق يقتضى أن يثبتوا نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم .

أسلوب القرع بالأدلة :

واستطرد أيضاً الإمام السموأل في الرد على شبهة التجسيم والتعدد لتطاول اليهود فيها على الذات الإلهية ولأهمية الرد عليهم في هذه القضية ، فقد نطقوا بالكفر في صياغة صلواتهم ووصفوا الله عزوجل بصفات لا تليق بهم فهذا لاشك من جهلهم وطيشهم .

اختصر الإمام السموأل في الرد على هذه الشبهة ولم يطل واكتفى بذكر نماذج قليلة من الأدلة من نصوص التوراة دالة على ضلال اليهود في تأويل الألفاظ وكفريات التجسيم ، أثبتها الإمام السموأل بأدلة على مقدمات منطقية وعلى دلالات ألفاظ النصوص التوراتيه

ذكر الإمام السموأل اعتقاد اليهود بأن اللوحين مكتوبان بإصبع الله عزوجل و ادعاءهم الندم على الله عزوجل حاشاه تعالى وكان في هذا مدافعاً عن صفات الله ووحدانيته ، ونفى أن تكون هذه الكفريات منزله على موسى عليه السلام ،ونذكر ما قاله ابن القيم :" من العجائب حجرهم على الله أن ينسخ ما شرعه لئلا يلزم البداء ثم يقولون: إنه ندم وبكى عن الطوفان، وعاد في رأيه وندم على خلق الإنسان، وهذه مضارعة لإخوانهم من عباد الصليب الذين نزهوا رهبانهم عن الصاحبة والولد، ونسبوهما إلى الفرد الصمد."(١)

قدم ابن كمونة سبعة اعتراضات ضد اليهودية مستنداً إلى كلام السموأل المغربي وأوردها ابن كمونة بألفاظها كما هي والغريب أنه لم يرد على هذه الاعتراضات بل كان عرضه هذا معتمداً على العقل دون تعليق من نفسه، معتمدا على نصوص موسى بن ميمون .

وفى نهاية عرضه قال :" ويجب أن تعلم أن هذه الاعتراضات لا يتأنى أن يورد جميعها إلا من كان خارجاً عن الملة النصرانية وعن الملة اليهودية لكون عقيدتا الملتين تنافيان إيراد جميع ذلك لكن تقتضيان إيراد بعضه".(٢)

---

(١)هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم الجوزية ، تحقيق :محمد أحمد الحاج، دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م،(٣٤١/٢)

(٢)تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث ابن كمونه صـ٤٧

ثانياً: المنهج النقلى عند الإمام السموأل في الرد على شبهات اليهود الخاصة بالإلهيات :

خاطب الإمام السموأل اليهود بنصوص عبرية معربة أي منطوقة بحروف عربية حتى يتسنى له إقناعهم أكثر، وهذا أيضاً دليل على تمكنه في اللغة العبرية وحفظه لنصوص التوراة ، وبدوره قام محقق كتابه بالرجوع إلى أسفار اليهود التي توضح النص الأصلي المقصود عند الإمام السموأل ، ويظهر قوة اللغة عند الإمام السموأل ملاحظاً التعصب عند الترجمة أدى إلى التحريف فقال :" وقد أفرط المترجم في تعصبه وتحريفه للألفاظ عن موجب اللغة، وفسر (ويناجم أدوناي وناب أدوناي تميمريه) يعني. غار الله في رأيه ، وهذا التأويل أيضا وإن كان غير موافق للغة فهو أيضا كفر، مناقض لما يدفعونه من البدء والنسخ وأما الدليل على تفسيره (وبتعصيب ال لبوه) وشق عليه. فهو ما جاء في مخاطبة حواء (بتعصيب تيلدي بانيم) تفسيره: بمشقة تلدين الأولاد ، فقد تبين أن «العصيب» عندهم في اللسان العبراني: هو المشقة."(١)

ووضح السموأل بطلان النص المذكور :" وهذه الآية عندهم في قوم نوح، زعموا أن الله تعالى لما رأى فساد قوم نوح، وأن شرهم وكفرهم قد عظم ندم على خلق البشر وشق عليه، ولا يعلم البله أن من يقول بهذه المقالة يلزمه أن الله كان قبل أن يخلق البشر لم يكن عالما مما سيكون من قوم نوح وغير ذلك من النقص تعالى الله عما يكفرون."(٢)

وفى النهاية أثبت الإمام السموأل أنه حبر ابن حبر ، باحث عقلي موضوعي ، وناقد للمعارضين بنزاهة ومناظر قوي ومجادل لليهود كاشف عن جانب الكفر والتبديل والتحريف عندهم، حيث جادلهم بطريقة عقلية رياضية معولاً فيها للحجة القاطعة والبراهين الدامغة معتمداً على تبحره في الكتب اليهودية وتفسيرها ، وزين الإمام السموأل ردوده الأدلة العقلية والنقلية من التوراة أيضاً مما أتحفنا نحن القراء وألزم المعارض في خانة

(١)بذل المجهود في إفحام اليهود صـ١١٥.
(٢)بذل المجهود في إفحام اليهود صـ١١٦.

تجعله يشك في نصوص كتابه فيخرج من ملته ويعلن إسلامه .

الإمام السموأل بين التأثير والتأثر :

كان لكتاب (إفحام اليهود) تأثيراً قوياً في أحبار اليهود مما دفع احد فلاسفتهم بالرد على الإمام السموأل ، وهو (ابن كمونه) فألف كتاب (تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث) مجادلاً ومعترضاً فيه الإمام السموأل في الكثير من المسائل الإلهية ، وخاصة عندما ذكر اسم الإمام السموأل في كتابه فقال :"فإن صاحب كتاب إفحام اليهود قال في كتابه ما حكايته ...."(١) ، وقد وضع ابن كمونه كتابه بعد تأليف السموأل لكتابه (إفحام اليهود) بنحو مائة سنة .

ترك كتاب إفحام اليهود عند علماء المسلمين تأثيراً كبيرا بعد أن لاقى عندهم القبول واستعانوا به في جدال اليهود ، فقد نقل منه الإمام القرافي(ت :٦٨٤ه) في كتابه الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة في الرد على اليهود والنصارى)حيث تأثر به الإمام ابن القيم (ت:٧٥١هـ) ، ووضع صفحات كثيرة في ثنايا كتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) وأشار إلى السموأل اشارة ضمنية وقال :"قال بعض أكابرهم بعد إسلامه).

مراجع البحث

١) الإحكام في أصول الأحكام ، للإمام الآمدي ، المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت)، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ،

٢) إظهار الحق محمد رحمت الله الهندي الحنفي دراسة وتحقيق وتعليق : الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل مكاوي ، الأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة الملك سعود – الرياض ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية ، الطبعة : الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

(١)تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام لابن كمونه ، صـــ٢٨

٣) بذل المجهود في إفحام اليهود ، للسموأل بن يحيى المغربي ، قدمه وخرجه د عبد الوهاب طويلة ، دار القلم ، دمشق بيروت،الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .
٤) تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام لابن كمونة ، دار الأنصار .
٥) الحسام الممدود في الرد على اليهود ، عبد الحق مغربى ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .
٦) عقيدة اليهود في الأسماء والصفات من خلال نصوص التوراه ، د / عائشة عدنان ، جامعة سيدى محمد عبد الله ، سايس فاس، المغرب ، مجلد (٤) عدد ١/ ٢٠١٩م.
٧) كتاب التلخيص في أصول الفقه ، للإمام الجوينى (ت ٤٧٨هـ)، المحقق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري ، دار البشائر الإسلامية – بيروت.
٨) كتاب رحلة بنيامين التطيلي النباري الإسباني اليهودي (المتوفى: ٥٦٩هـ) ، المجمع الثقافي، أبو ظبي ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م .
٩) مجمع الآداب في معجم الألقاب، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني (ت ٧٢٣ هـ)، تحقيق : محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران ، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ
١٠) المنهج النقدي ووظيفته في توجيه الحوار الديني في كتابات المهتدين إلى الإسلام من أهل الكتاب ، للدكتور مصطفى جمعة ، عبد العزيز عارض ، مقال في مجلة المدونة ، مجمع الفقه الإسلامي بالهند ، مجلة ٢ عدد ٨ / ص ١٤٧ لعام ٢٠١٦م .
١١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم الجوزية ، تحقيق :محمد أحمد الحاج، دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.